

الفصل الخامس

الولايات الإسلامية المتحدة في طورها الجديد

تمهيد:

يقول المولى عز وجل:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

هذه الأمة هي أمة آخر الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

وستظل هذه الأمة قائمة إلى يوم القيامة لن يصيبها قحط ولا حرمان ولن يقهرها عدو، لأنها أمة داعية إلى الله وعلى طريق الاستقامة، وقد وعد الله بذلك.

وقال تعالى وقوله فصل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وقال تعالى يبشر عباده المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تعالى محذراً لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى كاشفاً ستر المنافقين (الطابور الخامس المخادع في أمة الإسلام). ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيتْغُونَ عَنْهُمْ غُرَّتُهُمْ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

ومن الأحاديث النبوية:

١- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

٢- «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

٣- «الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة».

وهكذا نجد أن هذه الأمة أمة معصومة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين إلى يوم الدين.

وحين تخرج هذه الأمة عن الجماعة فقد خرجت عن ربقة الإسلام، ومن ثم يصيبها الذلة والمسكنة والغضب من الله مثل ما أصاب بنى إسرائيل من قبل، وكان فيهم الأنبياء والملوك لماذا؟

لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق.

فى أوائل سورة البقرة ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين فى أربع آيات (من ٢ - ٥).

وصفات الكافرين فى آيتين (٦ ، ٧).

بينما ذكر صفات المنافقين فى ثلاث عشرة آية (من ٨ - ٢٠).

وفى هذا دلالة على خطورة أمر المنافقين الذين يعيشون بيننا فى العالم الإسلامى .. هم من يطلق عليهم بالعلمانيين - هم الذين يرفضون رفضاً مطلقاً الحكم بما أنزل الله .. هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، هم الذين عبدوا أصنام الشيوعية الإلحادية والرأسمالية الاستعمارية والمستغلة فى هذا العصر من دون الله، وتكونت منهم اثنتان وسبعون فرقة من عهد الرسول ﷺ إلى يوم القيامة جميعها فى النار.

يذكرنا الرسول ﷺ بالفرق التى تكونت فى بنى إسرائيل، والفرق التى ظهر بعضها والتى سوف يظهر بعضها الآخر فى أمة الإسلام إلى يوم القيامة.

«افترقت بنو إسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين.. جميعها فى النار إلا واحدة».

قيل ومن هي يا رسول الله؟

قال : القائمة على كتاب الله وستى».

وفى حديث آخر:

«من أحيا سنتى عند فساد أمتى فله أجر شهيد» .

وفى رواية . فله أجر مائة شهيد .

فى أوائل سورة الإسراء (الآيات من ٤ - ٨): إشارة واضحة فى قضاء الله على بنى إسرائيل فى الإفساد فى الأرض مرتين والعلو الكبير فيما بينهما .

وبنو إسرائيل كانت هى الأمة المختارة آلاف السنين منذ عهد نبى الله سيدنا يعقوب عليه السلام (المسمى بإسرائيل فى التوراة) إلى عهد سيدنا عيسى عليه السلام آخر رسل وأنبياء بنى إسرائيل .

فى المرة الأولى بعد أن دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة من بعد موسى حتى أصبح لهم قوة ومنعة وحضارة أفسدوا فى الأرض ، فعاقبهم الله بدخول الكنعانيين ، أو بختنصر ملك بابل (فى العراق) أراضيهم وديارهم بجنوده فدمرهم تدميراً .

حتى إن سيدنا العزيز حين دخل الأرض المقدسة بعد ذلك بأمر الله فلم يجد أثراً للحياة فتعجب وقال كما جاء فى سورة البقرة آية ٢٥٩ .

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ إلخ .

والأرض المقدسة هى أرض الميعاد أو الموعودة التى وعد الله بها موسى عليه السلام بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، وهلاك فرعون وجنوده غرقاً فى البحر . كما جاء فى قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة : ٢١] .

ولكنهم خالفوا الأمر فحرم الله عليهم الفتح فى عهد موسى عليه السلام وظلوا أربعين سنة مشتتين فى الأرض .

خلال هذه الفترة. فترة الذل والمسكنة طلب أشراف بنى إسرائيل من نبي لهم أن يبعث لهم ملكاً كما جاء فى سورة البقرة: ٢٤٦.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَاقِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. إلخ الآية.

بعث الله طالوت ملكاً وكان من جنوده داود عليه السلام، وتوجه بالخلاصة أو القلة المؤمنة من بنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة من جديد، وقتل داود جالوت ملك الكنعانيين، وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء.

وورث سليمان داود وأتاه الله الملك ما لم يأت أحداً من العالمين، ومد الله بنى إسرائيل بالأموال والبنين.

لكن اليهود أو بنى إسرائيل أفسدوا فى الأرض مرة أخرى فجاءهم الرومان وجاسوا فى الأرض المقدسة من جديد.

وخلال هذه الفترة العصبية فى حياتهم قتلوا سيدنا زكريا عليه السلام. وابنه يحيى عليه السلام.

وجاءهم سيدنا عيسى عليه السلام ومعه الإنجيل بالتعاليم والمحبة والسلام، ليحميهم من بطش الرومان.

لكن اليهود دبروا المكيدة وحرضوا الرومان على قتله، فهرب من الأرض المقدسة إلى كهف قريب.

فدلهم اليهودى الخائن على مخبئه ويقال إنه من الحواريين (غير المخلصين)، وكان برفقة أحد عشر من الجنود الرومان.

كان هذا اليهودى الخائن شبيهاً بسيدنا عيسى عليه السلام، فنجى الله عبده عيسى عليه السلام وقبض الجنود الرومان على اليهودى الخائن، ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام وقتلوه وصلبوه.

ومن الكهف القريب هرب عيسى عليه السلام إلى مكان أمين بعيداً عن أعين الرومان، وبدأ يلتقى بالحواريين سرّاً حيث فوجئوا به حياً بين أظهرهم، وكان

ظنهم من قبل أنه قد قتل وصلب، وسموا أول يوم تم فيه اللقاء عيداً، وسمى ذلك اليوم عند النصارى بعيد القيامة.

وقد فصل الله سبحانه وتعالى في ذلك الأمر ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

ربما يتساءل البعض: لماذا أكتب عن المنافقين؟ ولماذا أكتب عن بنى إسرائيل؟
الكتابة عن المنافقين هامة للغاية لأنه حتى تقوم دولة الخلافة بإحدى الصور العصرية فلا مكان لهؤلاء جميعاً، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.
المؤمنون هم الذين يتولون زمام الأمور، وهم الذين يحكمون العالم الإسلامى لبناء الأمة القوية فى كافة المجالات لمواجهة قوى البغى والعدوان فى العالم..
مواجهة بين الحق والباطل.. بين الخير والشر.. بين الصلاح والفساد.. بين الإصلاح والإفساد.. بين الكفر والإيمان.. بين التقوى والفجور.. بين البر والإثم.

المؤمنون لهم صفات ذكرت فى القرآن، والمنافقون لهم صفات ذكرت فى القرآن.. فلا لبس ولا غموض فى التفرقة بين هؤلاء وهؤلاء.

أما عن بنى إسرائيل لأنهم كانوا أمة مختارة، وكان فيهم الملوك والأنبياء. ورغم ذلك كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، وجعل الله فيهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

وانتهت أمة بنى إسرائيل الإسلامية إلى غير رجعة بمقتل سيدنا زكريا وابنه سيدنا يحيى، ومحاولة قتل سيدنا عيسى عليهم السلام.

وكذلك الأمر بالنسبة لأمة سيدنا محمد ﷺ إن لم يكونوا من العاملين العاملين المخلصين، سوف يصيبهم ما أصاب بنى إسرائيل إلا القلة المؤمنة إلى يوم القيامة.

وربما يتساءل البعض: وأين القلة المؤمنة من بنى إسرائيل؟

- الجواب من كتاب الله فى سورة المائدة الآيات من ٨٢ - ٨٥.

حيث نجد أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود؛ لأنهم كفروا بسيدنا عيسى عليه السلام والإنجيل وأرادوا قتله، وكفروا بسيدنا محمد ﷺ والقرآن وأرادوا قتله في المدينة. وكذلك كفار مكة في المدينة.

بينما نجد أن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، وهم من أهل الكتاب الذين آمنوا بسيدنا عيسى عليه السلام، فكانوا مسلمين، فلما جاءهم سيدنا محمد ﷺ ومعه القرآن قالوا آمنا فآكتبنا مع الشاهدين.

في هذا الفصل الهام وهو مسك الختام نتناول بالشرح الموجز المباحث التالية:

المبحث الأول: أمة الإسلام أمة واحدة لا تقبل الحزبية ولا المذهبية.

المبحث الثاني: أمة الإسلام أمة واعية لا تقبل الطائفية ولا العنصرية.

المبحث الثالث: دعائم وحدة الأمة الإسلامية المتاحة بمفهوم العصر.

المبحث الأول أمة الإسلام أمة واحدة لا تقبل الحزبية ولا المذهبية

أولاً: لا حزبية في الإسلام:

حين ترك المسلمون إسلامهم استمكن أعداء الإسلام من خناقه، فتم لهم تمزيق جماعته الكبرى إلى أشلاء منثورة على صعيد القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا).

يذكر الشيخ محمد الغزالي في بحث له يتضمن:

نظرة على واقعنا الإسلامى مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى (عام ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م). يقول:

ذكر الشيخ محمد المنتصر الكنانى فى محاضرة له بمكة المكرمة. أن تعداد المسلمين فى العالم أجمع حوالى ألف مليون نسمة، وهذه المعلومات تستقى من هيئة الأمم المتحدة (الآن حوالى مليار وربع). ثلثهم يعيشون أقليات فى سلطان حكومات شيوعية ووثنية ونصرانية، والباقيون (الثلثين) يحيون فى دول مستقلة بلغت ٤٠ دولة (الآن حوالى ٥٦ دولة).

وأضاف: أن هناك حرب إحصاءات مزورة يشنها أعداء الإسلام، فمثلاً:

السنغال يقطنها أكثر من ٩٥٪ من المسلمين وحكومتها نصرانية، وتنزانيا المكونة من زنجبار وتنجانيقا تقطنها أكثر من ٨٥٪ من المسلمين وحكومتها نصرانية، تعمل بحرارة لضرب الإسلام فى وسط أفريقيا وشرقها.

وهناك أعداد مكذوبة عن نصارى غانا وجنوب السودان توهم أنهم أغلب السكان، وهم فى الحقيقة بين ١٥٪، ٢٠٪، ولا يقل المسلمون عنهم عدداً، والباقي على الوثنية المتعطشة لدين الإسلام. فأين دعاة الإسلام؟

وقد أشاع موازنة لبنان أنهم أكثر السكان مع أنهم لا يبلغون ٢٠٪ من تعداد البلد الذى يراد تنصيره بالخدیعة طوراً وبالسلاح طوراً، ليكون بعد تهويد فلسطين قلعة أخرى لضرب الإسلام وردة إلى الصحراء كما يقولون.

حتى أندونيسيا التي كانت دولة إسلامية ١٠٠٪ استطاعت هيئات التبشير المنطلقة من قارة استراليا اقتطاع جزء منها لتكوين دولة نصرانية .

ولا أدري ما حكم الردة عن الإسلام فى دولة إسلامية لا تحكم بما أنزل الله؟
المعلوم يقينا فى الإسلام هو إقامة الحد وهو القتل .

هذا التمزق فى الأمة الإسلامية مصدره تكوين الأحزاب كما هو سائد فى الدول الغربية ، ولكن كشكل دون مضمون وسلب للإرادة الدينية والوطنية حيث إن الاستعمار قديمه وحديثه لا يقبل إلا التبعية .

وقد أجمع الفقهاء على أن الحزبية لا أصل لها فى الإسلام ، لأنها تؤدى إلى التناحر واستعلاء بعضها على بعض ، وإسناد المسؤوليات إلى غير أصحابها بغير شروط البيعة ولا أمر الشورى .

وقد حاولت بعض الحكومات الإسلامية ضرب الاستعمار القديم (مثل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا . . . إلخ) بالتوجه إلى الدول الشيوعية (مثل الاتحاد السوفيتى سابقاً) وإلغاء النظام الحزبى .

ولكن سرعان ما فشلت بسبب تهميش الدين ، وإلغاء الحرية الفردية ، وتأميم الممتلكات .

وعادوا خائبين إلى ما يسمى الاستعمار الحديث (الولايات المتحدة وإسرائيل) ، الذى يستخدم مجلس الأمن (حق الفيتو) والمنظمات الدولية لصالح قضاياهم الظالمة ، وأبيح لهم ضرب المسلمين فى العراق وأفغانستان وفلسطين بلا عقاب ولا عتاب ، وإشعال نار الفتنة فى لبنان وفى السودان بدون حق ولا برهان .

الولايات المتحدة وإسرائيل ومن يقف وراءهم أولئك حزب الشيطان نجد ذلك فى سورة المجادلة فى الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

بينما حزب الله هم المؤمنون الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا من ذوى القربى . نجد ذلك فى سورة المجادلة آية ٢٢ .

وأطلق لفظ حزب على الكفار واليهود فى غزوة الخندق التى أطلق عليها غزوة الأحزاب . . حيث تحالف كفار الجزيرة العربية (قريش وثقيف وخطفان) وقبائل اليهود (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) على استئصال شأفة المسلمين فى المدينة .

لكن النصر كان حليف المهاجرين والأنصار ومعهم رسول الله ﷺ ، جاء ذلك فى سورة الأحزاب الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

فما هو البديل الإسلامى إذن؟

أجمع الفقهاء على أن الحكومات الإسلامية تبدأ من المسجد (مجموعة المساجد فى القرى وأحياء المدن).

ومن خلال كل مسجد يتم اختيار أهل الحل والعقد من جماعة المصلين الذين يصلون الصلوات الخمس فى جماعة .

ومن خلال أهل الحل والعقد على مستوى القرى والأحياء ثم الأقاليم أو الإمارات أو المحافظات ، يتم اختيار كافة المسؤولين ، وكذلك مجالس الشورى والمجالس المتخصصة ومجالس القضاء .

يحذر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من الفرقة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ثانياً: لا مذهبية فى الإسلام:

لم تظهر الفرق إلا بعد مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ولم تظهر المذاهب إلا فى العصر العباسى ، ولم تظهر الطرق الصوفية إلا فى العصر الفاطمى .

فى القديم كانت فرق الخوارج والمعتزلة والرافضة والمرجئة وأشياع عبد الله ابن سبأ رأس الفتنة .

ثم كانت مذاهب أهل السنة وأشهرها مذاهب الأئمة الأربعة (أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس والشافعى وأحمد بن حنبل).

ومذاهب الشيعة وأهمها: الإمامية، والاثني عشرية، والزيدية، والأباضية، والإسماعيلية.

ذكر الإمام الدكتور موسى الموسوي في كتابه «يا شيعة العالم استيقظوا» بعض تساؤلات منها:

١- لماذا ألزمتنا نحن الشيعة الإمامية أنفسنا بتبعية الفقهاء؟

٢- ولماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية؟

٣- ولماذا يتعاطف بعض الشيعة مع الزعامة الإمامة المذهبية الشيعية في إيران ولا يتعاطف مع محنة الشيعة فيها؟

ثم انتهى إلى وضع شعار للتصحيح يساهم فيه كل شيعي بماله أو بقلمه أو بلسانه أو بجهدته يتضمن ما يلي:

١- الالتزام المطلق بالعودة إلى عصر رسول الله والسلف الصالح والإمام علي في أصول الدين وأركان الإسلام وفروعه.

٢- الأخذ بمذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق الفقهي، مع النظر في المذاهب الأخرى على أنها مذاهب فقهية لا خلاف فيها إلا في الفروع مثل ما يختلف الحنفي مع المالكي، والشافعي مع الحنبلي.

٣- نبذ البدع والخزعبلات التي أدخلت في العقيدة ونسبت إلى الإمام الصادق أو أئمة آخرين زوراً ويهتاناً مثل: التقية والمتعة والغلو وتجريح السلف الصالح.

ثم كانت الطرق الصوفية التي وفدت من المغرب إلى مصر لتمهيد الطريق لقدوم الدولة الفاطمية.

وفي هذا العصر نجد فرق من نوع جديد مثل الشيوعية والرأسمالية والعلمانية.

ومذاهب أهل السنة وأهل الشيعة، وقد اختلط بعضها على بعض في مكان واحد وفي زمان واحد.

ثم الطرق الصوفية التي اتخذت من الأضرحة والندور والموالد منهاجاً في حياتها، والتي لم يكن لها سابق عهد عند أئمة الصوفية الأوائل من أمثال: أبي حامد الغزالي والإمام المحاسبي وابن الرومي.

فمن أين جاءت هذه البدع الضالة؟ لا أدري.

أما عن هذه الفرق المعاصرة، فقد أفتى الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله حين سئل عن الشيوعية.. فقال: هذه خروج عن الإسلام.

وأما عن المذاهب.. فقد سئل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله عنها فقال: هي مدارس فقهية من صميم الفقه الإسلامي.

وقال الشيخ محمد متولى الشعرواي رحمه الله عن الاختلافات الفقهية: أنها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد. وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: أن التعصب للإسلام وليس للمذهب.

وماذا عن أئمة المذاهب الأربعة:

قال الإمام أبو حنيفة النعمان صاحب الاجتهاد في الإسلام:

هم رجال ونحن رجال، وكان من أصحاب الرأي.

ويقال عن الإمام أبي حنيفة أنه كان حين يعتمر ويحج كان على مذهب الإمام مالك منعاً للفرقة بين المسلمين.

وقال الإمام مالك بن أنس:

من كل يؤخذ ويرد إلا صاحب هذا المقام.

طلب منه الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يجمع مذهبه في كتاب فقال له:

أخشى أن يؤخذ به من بعدى.

لكن الخليفة العباسي أصر على ذلك حتى يحكم به، فأخرج كتاب الموطأ.

أما الإمام الشافعي فقد كان له مذهبه وهو في العراق، وحين انتقل إلى مصر

كان له مذهبه الثاني حيث تغير الزمان والمكان.

وقال قولته المشهورة: إذا وجدتم حديثاً يخالف مذهبي فاضربوا بمذهبي عرض الحائط .

وجاء الإمام أحمد بن حنبل وهو آخرهم (فى عهد المأمون) وكان مذهبه أيسر المذاهب وليس أشدها كما هو مشاع، وقال قولته المشهورة: الضعيف عندنا (الحديث الضعيف). أقوى من رأى .

ولنا هنا ملاحظة هامة للغاية وهى: أنه لم يكن هناك تعدد للمذاهب مطلقاً فى المكان الواحد وفى الزمان الواحد وكان يقال:

مذهب أهل العراق (الحنفية).

مذهب أهل المدينة (المالكية).

مذهب أهل مصر (الليث بن سعد).

وهكذا . . .

ومع مرور الزمان وظهور الأتباع أو التلاميذ ظهر ما يسمى بمذهب الأحناف فى بعض الأمصار التى دخلت الإسلام، وكذلك مذهب المالكية ومذهب الحنابلة وهكذا.

وحينما توقف الاجتهاد وتناحر أصحاب المذاهب فيما بينهم ظهر بينهم العداوة والبغضاء .

ولكن صدق رسول الله ﷺ حين قال: «على رأس كل مائة سنة يظهر من يجدد للأمة إيمانها» .

وقد حدث بالفعل ظهور فقهاء كبار من أمثال:

الإمام أبو حامد الغزالي وكان فى الأصل شافعى .

الإمام أحمد بن تيمية وكان فى الأصل حنبلى .

الإمام العز بن عبد السلام شيخ الإسلام بطل حرب التتار .

والإمام محمد عبده المفكر الإسلامى فى بداية القرن العشرين الميلادى أو الرابع عشر الهجرى .

وفقهاء أجلاء فى هذا العصر أذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ محمد الغزالى، الشيخ محمد أبو زهرة، الدكتور يوسف القرضاوى الدكتور عيسى عبده إبراهيم وأيضاً الشيخ سيد سابق صاحب كتاب «فقه السنة» الذى أفاد الملايين من أبناء المسلمين .

هذا الكتاب لم يتعصب فيه المؤلف لأى مذهب من المذاهب، وإن كان قد أخذ منهم جميعاً بالترجيح فى كل مسألة من مسائل الفقه، وكانت لديه القدرة على الاستنباط من الكتاب والسنة مباشرة دون الرجوع للمذاهب .

وملاحظة أخرى هامة:

وهى أن صيغة عقود النكاح فى مصر كانت تتضمن: وعلى مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان وقد أحدث ذلك حرجاً فى مسائل الزواج والطلاق والميراث وما شابه .

فأجمع فقهاء مصر على إلغاء ذلك، وأصبحت الصيغة فقط . على كتاب الله وسنة رسوله .

والخلاصة:

أنه لا يجوز مطلقاً التمذهب فى مذاهب شتى فى ظل دولة الخلافة العصرية . . خاصة وأن العالم كله قد أصبح مثل القرية الصغيرة .

فما من حركات ولا سكنات إلا ويعلم أمرها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة بعد دقائق معدودات .

فلم يعد هناك مبرراً للاختلافات فى ظل حكومة إسلامية واحدة فى مكان واحد وفى زمان واحد، حتى لا تتفرق الجماعة ولا تتناحر الأقاليم أو الولايات فيما بينها، ويستقل بعضهم عن بعض عن طريق الاستعانة بالفرنجة، كما حدث فى الأندلس قبل سقوطها .

فى ظل دولة الخلافة لم يعد مقبولاؑ على الإطلاق أن يقال هذا سنى وذاك شىعى والثالث صوفى .

كما لم يعد مقبولاؑ أن يقال هذا الإقليم أو هذه الولاية على المذهب الحنفى؁ وتلك الولاية على مذهب الإمام مالك . والثالثة على المذهب الحنبلى وهكذا .

حتى مطالع الشهور الهجرية (وخاصة أشهر رمضان وشوال وذو الحجة) يتحتم أن تتوحد فى العالم كله؁ فإن الأهلة تولد مرة كل شهر ولا تولد مرات .

وقد بُذلت محاولات من بعض دور الإفتاء من أجل توحيد الأهلة عن طريق ما يسمى بالقمر الصناعى الإسلامى؁ ولكن تسلط بعض الحكومات فى العالم الإسلامى حال دون ذلك بتغليب السياسة على الدين . . وأى سياسة هذه؟ .

المبحث الثانى

أمة الإسلام أمة داعية

لا تقبل الطائفية ولا العنصرية

أولاً: لا طائفية فى دولة الخلافة المعاصرة:

هذه الطائفية من صنع الاستعمار القديم والحديث، ولا وجود لها فى العصر النبوى، ولا فى عصور الخلافة حتى عهد قريب.

حين هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه المهاجرين الذين جاءوا من قبله ومن بعده من مكة والحبشة.. آخى بين المهاجرين والأنصار.

وكان فى المدينة يهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، طلب منهم العيش فى سلام مع المهاجرين والأنصار حيث لا إكراه فى الدين.

وطلب منهم ما يسمى بالوحدة الوطنية من أجل حفظ ظهر المدينة من المشركين.

لكنهم بعد ذلك نقضوا العهود وتعاونوا مع الكفار فى مكة والمنافقين فى المدينة لقتل سيدنا محمد ﷺ، والقضاء على دولة الإسلام.

كان عدوانا ثلاثياً فى غزوة الأحزاب من الكفار والمنافقين واليهود، فانتصر المسلمون وأجلاهم الرسول ﷺ من المدينة ومن خيبر.

لكن الملاحظ وهذه نقطة تاريخية هامة أن اليهود المسالمون ظلوا فى المدينة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

يظهر ذلك من كتب السيرة النبوية وتاريخ الصحابة والتابعين، حيث نجد أن الرسول ﷺ كان له جار يهودى وكان له غلام يهودى يخدم فى بيته، ورهن سيفه عنه يهودى اشترى منه شعيراً، وسيدنا على رضى الله عنه كان أجيراً عند يهودى حين اشتد به الجوع، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعطى اليهود والنصارى

من بيت المال حين العوز، بل إن بعض اليهود فى عصور الخلافة كانت لهم مكانة، فلم يكن هناك ما يسمى بالطائفية لأنهم أهل ذمة.

وحين دخل عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الكنانة كان يحكم بالإسلام من أول يوم، وسعى فى رد مظالم أقباط مصر (شعب مصر) من الرومان المحتلين.

وفى حروبه ضد الرومان فى الفسطاط (القاهرة) والإسكندرية وكان جيشه لا يتعدى بضع آلاف من المسلمين أمام مئات الألوف من جند الرومان، كان النصر حليف المسلمين بمعاونة شعب مصر ضد العدو.

ولم نسمع بعد ذلك ما يسمى بالطائفية رغم كثرة عدد النصارى، حتى فى ظل الخلافة العثمانية (فى عهد السلطان عبد الحميد) طُلب منه إقامة دولة لليهود فى فلسطين. فرفض ذلك رفضاً قاطعاً رغم غلبة الاستعمار القديم على دولة الخلافة المريضة.

كان السلطان عبد الحميد يعلم بوجود جالية يهودية كبيرة فى فلسطين، لكن لم يسمح لهم بإقامة دولة لأنهم أهل ذمة على أرض الإسلام.

لكنهم نالوا بعد ذلك وعد بلفور (المسئول البريطانى) بإقامة دولة.. ثم كان التقسيم عام ١٩٤٧، ثم كان الاحتلال الكامل عام ١٩٦٧، ثم التهديد اليومى للدول الإسلامية المجاورة بتأييد كامل من الصليبية العالمية.

لكن لا يأس من رحمة الله حين يكون المسلمون عند إسلامهم، فسوف يتحقق لهم النصر المبين.. سوف ينطق الحجر والشجر: يا عبد الله ورائى يهودى فاقتله.

والمقصود هنا اليهودى المحارب.. أما اليهود المسلمون فلا إكراه فى الدين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين فى دولة الخلافة الإسلامية.

الطائفية فى لبنان ظهرت فى أسوء صورها، رغم أن الموازنة كما ذكر الشيخ محمد الغزالى لا يمثلون سوى ٢٠٪ فقط على الأكثر من عدد السكان.

وهذه الأعياب استعمارية مكشوفة، وسوف تستمر طالما ظل المسلمون فى غفلة عن دينهم.

وقد بذلت مساعي حميدة فى لبنان بالتعاون أو الوحدة مع سوريا، لكن القوى الصليبية والصهيونية ترفض ذلك تماماً، وكذلك الهيئات القبلية الموالية لهما داخل لبنان. ثم كانت هناك محاولات يائسة من نصارى مصر المقيمين فى الولايات المتحدة الأمريكية لإثارة الفتنة الطائفية فى عصر السادات، لكن بيقظة الشعب المصرى المسالم وإدت هذه الفتنة التى أطفأها الله.. فهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ثانياً: لا عنصرية فى دولة الخلافة المعاصرة

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول الرسول ﷺ: «لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

من الكتاب والسنة نعلم أن معيار الفضل من الله هو التقوى. فهذا سلمان الفارسى، وذاك صهيب الرومى، بلال الحبشى جميعهم رضوان الله عليهم من الأعاجم والعبيد، فماذا قال عنهم الرسول ﷺ؟ قال: سلمان منا أهل البيت، وصهيت منا أهل البيت، وبلال منا أهل البيت. وكذلك زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد الحب ابن الحب لم يكونا من قريش ولا من بنى هاشم، لكنهما كانا من أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ. وكان الكفار من قريش ومن بنى هاشم أبعد ما يكون من قلب رسول الله ﷺ، ومنهم عمرو بن هشام القرشى (أبو جهل) وأبو لهب الهاشمى (عم الرسول ﷺ). وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين تولى الخلافة:

القوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للقبطى المصرى الذى جاء يشكو من ابن عمرو بن العاص حين ضربه فى سباق.

اضرب ابن الأكرمين . . فضربه وقال، اضرب أبيه قال، لا فقد أخذت حقي .
ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال له: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحراراً.

وهكذا الأمر في حياة المسلمين حتى تقوم الساعة . . فلا فضل لمصرى على
يمنى ولا أندونيسى ولا عمانى إلا بالتقوى، ولا فضل لمسلم إيرانى أو مسلم
فلسطينى على مسلم أمريكى أو مسلم سيريلانكى إلا بالتقوى .
حتى في الصحة فلا تميز لمسلم على مسلم إلا بذلك، مصداقاً لقول
رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» .

بينما نجد عند غير المسلمين التفرقة بأوسع معانيها:
- تفرقة بين السيد الذى يملك الإقطاعية وما عليها فيظلم كيف يشاء . . والعبد
المقهور الذى لا يملك من حطام الدنيا شيئاً .

- تفرقة بين الأبيض والأسود كما كان سائداً في الولايات المتحدة الأمريكية منذ
عهد قريب، وما زالت بعض آثاره في جيوب المدن والولايات .

- التفرقة التى صنعها هتلر بين الألمان وغيرهم من الأوروبيين وغير الأوروبيين .
والتفرقة التى وضعها اليهود الصهاينة بين اليهود وغيرهم من شعوب الأرض . .
ظناً منهم أنهم شعب الله المختار .

فلما كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء صاروا من المغضوب عليهم إلى يوم الدين .
فى ظل دولة الخلافة لن يكون هناك حق امتياز لدولة من الدول، ولا لأسرة من
الأسر، ولا لفرد على آخر بالمال أو النسب .

فالكل يتسابق فى الإيمان والعمل الصالح، فى السمع والطاعة للأمر ولو كان
عبداً حبشياً . . فى الجهاد فى سبيل الله، ولكل مجتهد نصيب .

يقول تعالى فى سورة آل عمران آية ١٣٣ :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

المبحث الثالث دعائم وحدة الأمة الإسلامية المتاحة بمفهوم العصر

تمهيد:

وحدة الأمة الإسلامية تتحقق من خلال الكثير من الآيات القرآنية، والكثير من الأحاديث النبوية، والكثير من أقوال الفقهاء حول فرضية وحدة الأمة.

فما الذى جعل العالم الإسلامى حكاماً وشعوباً يتجاهلون ويتخاذلون ويضربون بما جاء فى الكتاب والسنة والإجماع عرض الحائط؟

ما الذى جعلهم يتعايشون مع غير المسلمين فى ذلة ومهانة، حين تحققت مآربهم الدنيوية وشهواتهم الحيوانية؟

- المسألة تحتاج إلى جهد وجهاد.. إلى تضحية وفداء.. إلى قلب وتصديق.. إلى عقل وتفكير.. إلى علم وعمل.. إلى حكمة وتدبير.. إلى كياسة واقتصاد.. إلى سمع وطاعة.. إلى شكر للنعمة وصبر على البلاء.

كل هذه دعائم للخروج من عالم الغناء إلى عالم الرجال.

يقول المولى عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ويقول تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويقول الرسول ﷺ: «المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير». ويقول أيضاً:

«توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الذئاب إلى قصبعتها.. قيل: أو من قلة يومئذ يا رسول الله؟

قال: لا.. إنكم يومئذ كثيرون لكنكم غثاء مثل غثاء السيل.. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة وليضربن الله على قلوبكم الوهن.

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: حب الدنيا وكراهية الآخرة.

وأما عن أقوال الفقهاء:

فقد أجمع علماء الإسلام على أن الخلافة أو الإمامة فرض أساسى من فروض الدين، بل هو الفرض الأول والأهم لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض وتحقيق المصالح العامة للمسلمين^(١).

فى هذا المبحث سنتناول هذا الأمر الهام فى ثلاثة موضوعات كما يلى:

أولاً: من آثار سقوط الخلافة العثمانية (دروس وعبر).

ثانياً: اجتهادات المفكرين المعاصرين حول إقامة دولة الخلافة.

ثالثاً: الاستفادة من التجارب الوجدوية فى العالم الإسلامى وغيره.

أولاً: من آثار سقوط الخلافة العثمانية (دروس وعبر)

فى مارس عام ١٩٢٤ (الموافق ١٣٤٤هـ) أعلن «كمال أتاتورك» رئيس تركيا إلغاء منصب الخلافة من بلاده، فكان لهذا دوى بالغ فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

وفى أبريل عام ١٩٢٥ أصدر الشيخ على عبد الرزاق القاضى الشرعى آنذاك بالمنصورة، كتاباً طالب فيه بإلغاء الخلافة وأنكر وجودها فى الإسلام، فأحدث هذا ضجة كبيرة فى مصر وسائر بلاد العروبة والإسلام^(٢).

(١) من المراجع على سبيل المثال: الأحكام السلطانية للماوردى، والمقدمة لابن خلدون، والخلافة للعلامة السيد رشيد رضا.

(٢) سمى هذا الكتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ على عبد الرزاق.

وقد تعرض لهذا الكتاب بعض الصحفيين والكتاب الذين ليست لهم دراسة عميقة بمسائل الخلافة، فكانت النتيجة أن تسرعوا فى إصدار أحكام خاطئة وقدموا صورة مشوهة عن حقيقة الإسلام وتاريخه، وضلوا عن فهم غاياته . فكان لابد أن يوضع حدا لتلك الأباطيل فى مدى خمسين عامًا ولابد أن يعرف الحق .

فأصدر الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس أستاذ النظم الإسلامية بجامعة القاهرة (كلية دار العلوم) كتابه : «الإسلام والخلافة فى العصر الحديث» .

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢م (الموافق ١٣٩٢هـ) وهو يعد رداً أو نقداً لكتاب الإسلام وأصول الحكم الذى ألفه أو وضعه الشيخ على عبد الرزاق .

يذكر الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس فى كتابه خلاصة ما انتهى إليه الصحفيون بعد صدور كتاب الإسلام وأصول الحكم، وهو يرى أن الإنجليز قرروا إقامة الخلافة الإسلامية فى مصر بعد زوالها من تركيا، وأنهم كانوا يريدون أن يعطوا هذا الشرف للملك أحمد فؤاد ملك مصر، حيث كان الملك مجرد موظف تابع لهم . . فكانوا يقصدون استغلال نفوذ الخلافة لترقية الاستعمار، وأن العلماء لم يكن لهم رأى، ولم يكونوا مخلصين، وإنما كانوا يتاجرون بالدين، وأن الشيخ على عبد الرزاق كان هو الفارس الجرىء المغوار المقدام الذى تصدى لهذا كله .

بعد عرض وجهة نظرهم والتى كانت شائعة ويرددها غيرهم يعود الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ليناقد أحكامهم هذه بالأدلة والبراهين .

هذه المناقشة تتناول ثلاثة جوانب وهى :

موقف الإنجليز، وموقف الملك، وموقف الشيخ على عبد الرزاق، ويضاف إليها جانب رابع وهو موقف العلماء .

أما عن موقف الإنجليز:

فإن الإنجليز لم يكن يعينهم إقامة الخلافة فى مصر، ولم يكونوا من الغباء بحيث تُرضى ملكاً واحداً لتغضب الآخرين .

فقد كان هناك الملك حسين صديقتها القديم، وكان هناك أيضاً الملك عبد العزيز آل سعود الذى كسب مجداً جديداً باستيلائه على الحجاز موطن الحرمين .

والنقطة الأخيرة تتعلق بالملك فؤاد، فهو لم يكن ذلك الشخص الضعيف الحامل الذى يصلح أن يكون أداة طيعة فى يد السياسة البريطانية أو الاستعمار .

بل كان على العكس رجلاً قوى الإرادة ذو شخصية يحسب لها حسابها، وقد دخل فى عراك مع المعتمد البريطانى فى إخراج وزير من الوزارة، وكان المعتمد معترضاً ونفذ إرادته .

الخلاصة: إذن أن الإنجليز لم يكن لهم شأن بقضية الخلافة، وأنها كانت قضية محلية مصرية أطرافها: الملك، والعلماء، والشيخ على عبد الرزاق، والصحف، والأحزاب .

وأما بالنسبة للملك:

فقد نشأت فكرة ترشيحه للخلافة من حوار حول ما كان من طرد آل عثمان من تركيا وإلغاء الخلافة، فقال أحد الحاضرين: ولما لا تكون الخلافة للملك فؤاد، نجتمع علماء مصر فينتخبونه ويبايعونه؟

لكن العلماء لم يأخذوا بهذا الاقتراح، وانتهوا إلى وجوب عقد مؤتمر إسلامى عام للتشاور قبل إعلان أى قرار .

- حين وصل إلى علم الملك رفض القرار قال لسعد باشا رئيس الوزراء وقتئذ: «كيف أقوم بالواجب نحو جميع المسلمين مع أن حملى ثقیل بالنسبة لمصر وحدها؟»

وأما بالنسبة للعلماء:

حين اجتمعوا وفكروا فى مسألة الخلافة، لاعتقادهم بأن ذلك واجب عليهم . فالخلافة أهم منصب دينى ويهم المسلمين جميعاً .

وقد نصت الشريعة الإسلامية فى أن إقامة الخلافة فرض أساسى من فروض الدين . . بل هو الفرض الأعظم لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض .

وإذا كان البعض منهم قد اقترح أن تتم الخلافة للملك فؤاد ملك مصر، إنما كان ذلك بهدف رفع قدر مصر في نظر العالم الإسلامى، ويجعلها مركزاً لهذا العالم.

هذا رأى الدكتور ضياء الدين الرئيس ليرد على أولئك الذين هاجموا العلماء ورموهم بالنفاق والرياء، وأنهم يتاجرون بالدين ويؤيدون الظلم والاستبداد.

وكان فى مقدمة العلماء المهتمين بأمر الخلافة عالم كبير ليس من رجال الأزهر، ولكنه من علماء سوريا الذين أقاموا فى مصر، وهو السيد محمد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده وحامل رسالته، وهو صاحب مجلة المنار التى كان لها انتشار فى أنحاء العالم الإسلامى.

فى عام ١٩٢٤ أصدر كتاباً بعنوان «الخلافة أو الإمامة العظمى». هذا الكتاب القيم بين فيه المؤلف أحكام الشريعة الإسلامية التى تتعلق بالخلافة. . وفى ختام البحث وضع منهجاً للإصلاح يلائم العصر.

وأما بالنسبة للشيخ على عبد الرزاق (مؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم): فإنه لم يقصد من تأليف كتابه أن يتحدى الإنجليز أو يتحدى الملك فؤاد كما زعم الصحفيون والكتاب.

وقد بدأ تأليف هذا الكتاب أيام الحرب العالمية الأولى أى قبل مجيء الملك فؤاد، كما نص على ذلك فى المقدمة.

والواقع أن ظهور الكتاب تأخر عن الوقت المناسب، وبعد هذه السنين الكثيرة أخرج كتابه الذى لم يزد عن مائة صفحة، وكان من سوء حظ الشيخ أن ظهر الكتاب بعد أن تغيرت الأحوال حيث تحققت الفكرة التى كان يدعو إليها وهى هدم الخلافة، ثم ظهر الكتاب فى الوقت الذى بدأت فيه حركة نشطة فى مصر والعالم الإسلامى لإحياء الخلافة، وأخذ كثير من ملوك الإسلام يتطلعون إلى هذا المقام الجليل.

هذا من الناحية السياسية، وأما من الناحية الدينية فقد احتوى الكتاب على آراء تعد خروجاً على ما أجمع عليه المسلمون، بل تخالف ما هو معتقد ومسلّم به عن حقيقة الإسلام.

وقد أجمع بعض الفقهاء على إصدار حكم ضده بالردة عن الإسلام.

ولكن السؤال المهم هو:

هل هو المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب؟

تشير الترجمات على أن المؤلف الحقيقي غير مسلم، وكان يكتب أثناء الحرب العالمية الأولى بهدف شن الهجوم على الخلافة والخليفة لأن بلاده (بريطانيا) كانت فى حرب مع تركيا، وقد أعلن الخليفة العثمانى الجهاد الدينى ضدها والنصوص قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية، وكان السلطان محمد الخامس هو الخليفة فى ذلك الوقت .

هذا الشخص كان أحد المستشرقين الإنجليز، ويغلب الظن أنه يكون هو المستر «مرجو ليوث» اليهودى الذى كان أستاذاً للغة العربية فى بريطانيا، ويكتب عن الإسلام بجهالة ونزعة حقد .

وقد فند الدكتور ضياء الدين الرئيس آراؤه عن الدولة الإسلامية فى كتابه «النظريات السياسية الإسلامية» .

ثانياً: اجتهادات المفكرين المعاصرين حول إقامة دولة الخلافة

آراء الشيخ محمد الغزالي^(١):

يذكر الشيخ محمد الغزالي أن طالباً جامعاً قرأ فى تسويغ خروج الحاكم عن الشورى - موقف أبى بكر فى حروب الردة، وكيف مضى على رأيه رافضاً رأى عمر ابن الخطاب وجمهور الصحابة وكان الخير فيما فعل

رد عليه: فى هذا الكلام جملة أخطاء فاحشة .

أولها: أن مقاتلة المرتدين ومناعى الزكاة . وادعاء النبوة ليست رأياً اقترحه أبو بكر أو اجتهداً خاصاً به .

إنه النص الذى ورد فى الكتاب والسنة، فأبو بكر ينفذ ما ثبت، ولا اجتهد مع النص، ولا شورى كذلك مع النص .

ثانيها: من يقول إن الصحابة كانوا ضد هذا الموقف! ذاك كذب محض .

(١) كتاب: «نظرة على واقعنا الإسلامى (مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى للشيخ محمد الغزالي)» .

صحيح أن عمر بن الخطاب ثارت في نفسه شبهة ما كادت تولد حتى ماتت، مثل ما أنكر وفاة الرسول بادئ الأمر ثم تاب إلى الحق بعد كلام أبي بكر، وكان أول من جند نفسه للعمل معه في ميادين الكفاح.

إذن لابد من تحديد مواطن الشورى - فالشورى لا علاقة لها بالعقائد والعبادات والحلال والحرام.. فهي لا تنشئ طاعة ولا تحل حراماً.. إنها كالاجتهد لا مكان له مع النص.

فالإسلام لم يقر شرب الخمر ولا اللواط، ولا تبادل الزوجات كما حدث في الدول الغربية من منطلق الديمقراطية، ويبدو أن الكنيسة لم تعترض على ذلك.

ينبغي أن نفرق بين الولاء للدولة والولاء لشخص الحاكم.. إن الولاء للدولة حق، والانحراف عنها مزلفة إلى الخيانة العظمى، وقد رأينا في تاريخنا صحابة وتابعين يخدمون الدولة الإسلامية في ظل الإدارة الأموية، وهم يكرهون نوع الحكم وسلوك رجاله.

إنه ينبغي أن نكون رجالاً على سنة الله ورسوله، ولا نكون غشاً حكاماً ومحكومين نتسول من غيرنا ونستجدي رضاهم.

نظرت إلى قلمي فوجدته أمريكي الصناعة، وإلى ساعة يدي فوجدتها سويسرية، وإلى المنظار الذي يعينني على الإبصار فوجدته من ألمانيا، وإلى حذائي الذي أسير فيه فوجدته إيطالي الصنع، وإلى الثوب الذي أرتديه فوجدته من الصين، وإلى السيارة فوجدتها من اليابان.

حتى الغذاء يأتي من الخارج، والسلاح يأتي من الأعداء، والتفكير والسلوكيات من عادات وتقاليد عقيمة.

فأين نحن على خريطة العالم من حولنا؟

إنه الضياع ما لم نستمسك بالعروة الوثقى.. ما لم نكن على خلق ودين.. ما لم نؤت ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

إن دعامة الأمة الإسلامية أن تكون صورة صادقة لدينها في الداخل والخارج.

هذا علماً بأن منصب الخلافة يقوم على الأسس التالية:

- ١- نشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان .
 - ٢- رد الشبهات التى تثيرها الدعوات المضادة .
 - ٣- تحشيد قوى المؤمنين ضد أى عدوان يجيء من هنا أو هناك .
 - ٤- الإسهام مع قوى الخير فى العالم على رفع مكانة الإنسان عامة .
 - ٥- الخلافة تكون نيابة عن الرسول ﷺ فى رعاية مصالح الأمة الدينية والمدنية .
- الحقيقة أن توريث الحكم قد وقف حجر عثرة فى سبيل اختيار أفضل رجل ليكون قائداً وإماماً .
- هذا ما حدث فى ظل الخلافة الأموية والعباسية ، حيث وجد من فرض نفسه على الألوف المؤلفة فى أقطار الأرض الواسعة سيّداً مطاعاً وإماماً مهيباً؟
- فقد كان آخر الخلفاء أو السلاطين من آل عثمان شبحاً محقوراً لهذا النظام الجائر .
- فلا عجب إذا رمى بالخلافة فى البحر قائد يتفاهم مع الصليبية العالمية ، التى طال تربصها وبلغت آخر الأمر مرادها .
- إن المحن التى أصابت الإسلام بفساد أوضاعه السياسية مستطيرة الشر .
- والتفكير الذى يشغل ملايين المؤمنين الآن هو عودة الخلافة على نهجها الراشد .
- يقول الشيخ محمد الغزالي :
- لنبحث إذن كيف يكون للمسلمين وحدة شاملة وخلافة عظيمة ؟ تساءلت : ألا يمكن تخويل ودعم المؤتمر الإسلامى لتحقيق هذه الغاية ؟
- إن المؤتمر يتكون الآن من حوالى خمسين دولة إسلامية بيد أن المسلمين أوسع دائرة من هذه الدول الخمسين .
- إن القلة المسلمة فى الهند أربى من جميع الدول العربية .
- معنى هذا أنه لابد من تمثيل طوائف المسلمين فى العالم كله ، وهم موزعون على أكثر من خمسين دولة أخرى .

مطلوب إذن تشكيل المؤتمر ليكون لكل تجمع إسلامي صوت، ويكون اختيار الأمين العام ممن تتوافر فيه شروط الصلاح مع الكفاءة، بحيث تتجسد فيه آمال المسلمين وآلامهم.

ويمكن أن يأخذ هذا الأمين وضع الخليفة.

اقترح آخر:

ألا يمكن تحويل الدول أو الدويلات الإسلامية إلى ولايات متحدة إسلامية على غرار النظام الأمريكي.

واقترح ثالث:

هل يمكن أن يجمع بين أسرة الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية نظام يشبه «الاتحاد الكونفدرالي» تبقى فيه المعالم المحلية ويجمع المسلمين هدف واحد في الميدان الدولي؟

يقترح الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس^(١).

الخلافة حقيقة علمية وتاريخية في حياة الإسلام والمسلمين، والمسلمون لا يستطيعون أن يتجاهلوها أو يهملوها أو يغضوا الطرف عنها.

ولكن من خلال النظر إلى تاريخ الخلافة العثمانية في مدتها الأخيرة نجد أنه قد اعتراها الضعف وساءت الأحوال في الولايات الإسلامية التي كانت تتبعها، وأصبحت عاجزة عن مواجهة القوى العدوانية.

لكن يجب أن نذكر أن هذه الخلافة العثمانية لم تكن خلافة صحيحة بالمعنى الذي يريده الإسلام.

وإذا كانت الخلافة قد انتهت من تركيا فهي لم تكن حق تركيا ولا ملكها المحتكر لها، ولكنها حق الإسلام وملك الأمة الإسلامية بأسرها. فهذا دور قد انتهى مثلما مرت الخلافة من قبل بأدوار.

وقد نشأت الخلافة في المدينة ثم انتقلت إلى دمشق ثم إلى بغداد ثم إلى القاهرة ثم إلى الآستانة.

(١) الإسلام وأصول الخلافة في العصر الحديث د/ محمد ضياء الدين الرئيس.

لكن يبقى أن نظام الخلافة نفسه جزء من حياة الإسلام وفرض أوجبته الشريعة، استمراراً لتاريخ الأمة الإسلامية.

يقول الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس:

هنا نقف برهة لنجيب على أسئلة هامة وهى:

تحديد مدى مسئولية الأمة فى عدم إقامة الخلافة، وهل تعد آئمة بذلك؟ وإلى أى حد؟ أو بعبارة أخرى: ما حكم الإسلام على الأوضاع الموجودة الآن فى العالم الإسلامى؟

والجواب:

مادام قصد الشارع هو وجود حكومة أو دولة إسلامية، وقد رأينا أن الفقهاء قد أجازوا تعدد الحكومات عند تباعد المسافات أو للضرورة.. فإنه لا داعى لإثارة اعتراض على ذلك ولكن مع تحقق صفات وشروط مثل:

١- أن تجعل الدول الإسلامية سياستها ونظمها وأعمالها مطابقة للمبادئ الإسلامية.

٢- التقليل من التعدد؛ لأن الأصل فى الإسلام هو التوحيد أو الوحدة. مع تأكيد مبادئ الشورى وسيادة الأمة وشروط الإمامة.

٣- العناية بالمسائل الاقتصادية مثل التكافل الاجتماعى.

من خلال ذلك يقترح الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ما يلى وبإيجاز شديد^(١):

أن تنشئ الدول الإسلامية منظمة تسمى «منظمة الدول الإسلامية» وتكون منظمة دائمة وترسل كل دولة مندوباً دائماً لدى المنظمة ويكون للمنظمة سكرتير عام يلقب بالمدير أو المراقب، ويكون من خير رجال الأمة علماً وديناً وخلقاً ومعرفة بأحوال الشعوب الإسلامية والشئون الدولية.

ويكون للمنظمة جمعية عمومية تعقد دورة لها كل عام لمدة ثلاثة أشهر، أو كلما اقتضت الظروف.. يرأسها بالتناوب مندوبو الدول الإسلامية (رئيس لكل دورة).

(١) المقترح من ص ٣٦٣ إلى ص ٣٧٥ من كتاب «الإسلام وأصول الخلافة».

ويجوز أن تعقد الجمعية على مستوى رؤساء الحكومات، وإلى جانب الجمعية العمومية يعقد مجلس تنفيذى تنتخبه الجمعية، وتجتمع مرة كل شهر وتكون لها اختصاصات فى كافة المسائل. مع حق إصدار القرارات.

هذه المنظمة ستكون لها صفة دولية، ولا تلغى هذه المنظمة وجود الجامعة العربية بل تكون هذه الجامعة فرعاً لها.

ويكون للمنظمة لجان عاملة دائمة مثل:

- ١- لجنة الشؤون السياسية.
- ٢- لجنة الشؤون القانونية أو التشريعية.
- ٣- لجنة الثقافة الاجتماعية.
- ٤- لجنة نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج.

يقدم هذا المشروع إلى رؤساء الدول الإسلامية وهم الذين يملكون التنفيذ. وإلى علمائها وذوى رأى فيها.

ويقترح الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس فى النهاية، تنفيذاً للمشروع وكخطوة للبدء فى العمل أن يبادر أحد رؤساء الدول الإسلامية - محتسباً مخلصاً النية لله فيدعو إلى تأليف لجنة تأسيسية لوضع ميثاق المنظمة ودستورها، ثم يدعو سائر الدول إلى الاتفاق على الميثاق وتوقيعه - ثم يعلن قيام المنظمة وتذاع أهدافها على العالم.

ثالثاً: الاستفادة من التجارب الوحدوية فى العالم الإسلامى وغيره

من القرآن الكريم ومن السنة ومن إجماع الفقهاء واجتهاداتهم فى القديم والحديث، ومن الخبرات الإنسانية ومواهبها (مؤمن أو كافر)، ومن الجمادات والنباتات والحيوانات نتعلم الكثير فى أمور ديانا وأخرانا. فقد خلقت هذه الأشياء قبل خلق الإنسان بملايين أو مليارات السنين.

وهذا مصداقاً لقوله تعالى فى سورة الإنسان الآيات ١، ٢، ٣ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ إلخ.

وعطاء الله لم يكن محظوراً لهؤلاء أو هؤلاء (المؤمنون والكافرون) لأنه خلقهم، وما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها.

من هؤلاء من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة.

فمن أراد الدنيا قال الله فيهم ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

أما المؤمنون فيقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

هذا الإنسان ذلك الجرم الصغير الذي يتردد فيه الكل كما قال الفلاسفة، ألهمه الله الفجر والتقى. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

تعلم الإنسان في أول عهده من الغراب. كيف يوارى سوءة أخيه (جاء في سورة المائدة آية ٣١).

وتعلم صناعة السفن عن طريق الوحي الذي نزل على سيدنا نوح عليه السلام. وتعلم صنعة لبوس (صناعة الدروع) عن طريق الوحي الذي نزل على سيدنا داود عليه السلام.

وتعلم منطق الطير (سورة النمل: ١٦).

وتعلم نقل العروش من أماكنها (سورة النمل: ٤٠).

وتعلم بناء السدود من البرونز بين الجبال (سورة الكهف: ٩٦).

تعلم الطب، والهندسة، والتجارة، والجيولوجيا، والطبيعة، والكيمياء، والحرف والمهن المختلفة مصداقاً لقوله تعالى: (سورة البقرة الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣).

هذا الإنسان العاقل الناطق من دون المخلوقات المريئة جعله الله سبحانه وتعالى خليفة في الأرض.

هذه الخلائف أو الخلافة لا تقوم إلا بإقامة الدين بالصلاح والإصلاح. بالاستقامة على الصراط المستقيم. بالفضائل والأخلاق والآداب.

جميع الحضارات التي قامت بغير دين انتهت جميعها إلى دمار أو هلاك، منذ حضارة قوم عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد إلى الحضارة الشيوعية أو الإلحادية في الاتحاد السوفيتي التي انتهت بغير رجعة.

بينما نجد الحضارة الإسلامية منذ آدم عليه السلام باقية حتى قيام الساعة، قام بها مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

وسار على نهجهم الصديقون والشهداء الصالحون وحسن أولئك رفيقًا. هؤلاء هم القلة المؤمنة الذين على أكتافهم وبقلوبهم وعقولهم تنهض الأمة الإسلامية العملاقة من كبوتها، وغيرهم (غير المؤمنين) فهم الغثاء الذين يمكن تصنيفهم كما يلي:

- ١- العصاة: الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة.
- ٢- المنافقون: الطابور الخامس المتحالفون مع اليهود والنصارى.
- ٣- العلمانيون: وهم الذين قالوا لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين.
- ٤- الدجالون باسم الدين: والدين منهم براء منهم السحرة وعباد الأضرحة والنذر لهم.
- ٥- المرتدون أو الملاحدة: الذين اعتنقوا المذاهب الشيوعية والرأسمالية وتركوا أمر الدين.

أمة الإسلام أمة قائمة إلى يومنا هذا، وهي تشمل العالم الإسلامي بأسره من دول وأقليات.

هذه الأمة أمة واحدة لا تقبل التجزئة ولا تقبل التعدد فلا يقال. «أمم» كما لا يقال أمم متخلفة وأمم متقدمة.

فما هو الشأن أو التفسير بالنسبة للأمم ما قبل مبعث سيدنا محمد ﷺ وما بعده؟

أما عن الأمم السابقة فهم أقوام الرسل والأنبياء الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فى أزمنة متلاحقة وأماكن منفصلة.. نشروا الإسلام فى شتى بقاع المعمورة
وعاشوا فى سعادة ورخاء إلى حين.

وأمم أخرى كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون، أصابهم الخسف، والغرق، والصعق، والصيحة، والرياح العاتية
والزلزلة، وقذائف اللهب أو البراكين.. وانتهت هذه الأمم بغير رجعة وما بكت
عليهم السماء والأرض.. وبقي الإسلام شامخاً. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا
الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وأما عن الأمم اللاحقة (بعد بعث الرسول ﷺ وحتى قيام الساعة). فهى الأمم
التي لم تعتنق الإسلام، وعاشت حياتها فى صراع وفتن مثل قطع الليل المظلم،
وحروب تارة مع بعضها البعض مثل ما حدث فى الحربين العالميتين الأولى
والثانية، وتارة مع العالم الإسلامى مثل ما نجد اليوم (الولايات المتحدة وإسرائيل).
حينما نقرأ التاريخ منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا نجد أن هذه الأمم الكافرة
تتلاشى تباعاً منذ دولتى الفرس والروم ثم الصليبيين ثم التتار حتى سقوط الاتحاد
السوفيتى والبقية تأتى.

تنبأ الرسول ﷺ بهذه الأحداث وما سوف يأتى، نذكر منها على سبيل الإشارة
أو التلميح فقط:

- أ- تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها... إلخ.
- ب- افترقت بنو إسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى ثلاث وسبعين
جميعها فى النار إلا واحدة.
- ج- ستكون فتن مثل قطع الليل المظلم سبق ذكره.
- (ويل للعرب من شر قد اقترب).
- فما الخلاص منها:

١- تقوى الله فى السر والعلن.

٢- العدل فى الرضا والغضب .

٣- القصد فى الغنى والفقر .

٤- السمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى .

٥- عليكم بستمى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . . عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار .

د- ستفتح القسطنطينية (وقد فتحت مع بداية الخلافة العثمانية) .

و- عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم .

قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟

قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» [متفق عليه] (هذا لفظ البخارى) .

هـ - لن تقوم الساعة حتى ينطق الشجر والحجر: يا عبد الله: إن خلفى يهودى فاقتله .

ى- ستفتح روما:

سئل الدكتور يوسف القرضاوى عن هذا الحديث فى إحدى حلقاته على قناة الجزيرة الفضائية (برنامج الشريعة والحياة)؟

فذكر بأنه ليس شرطاً أن يكون ذلك غزواً مثل ما حدث فى فتح الأندلس (أسبانيا والبرتغال الآن) .

فلاحتمال الأقوى هو انتشار الإسلام بدخول الناس فى دين الله أفواجاً فى القارات الست بدءاً بروما مفتاح القارة الأوروبية .

وهذا يتوافق على ما ذكر عن النبى ﷺ بأن الساعة لن تقوم حتى ينتشر الإسلام على كل شبر من الأرض .

ربما يتساءل بعض الذين فى قلوبهم مرض : إذا كان الأمر كذلك فلماذا الجهاد إذن؟

ولماذا بذل الجهد المتواصل لإقامة شريعة الإسلام، ومواجهة قوى البغى والعدوان مهما كان الثمن؟

ولماذا السعى دون إحباط أو كلل لتوحيد الأقطار الإسلامية الممزقة، ورعاية الأقليات الإسلامية المستضعفة؟

نقول والله المستعان: بأن ما حدث وما سوف يحدث إنما هى نتائج لمقدمات بُذل فيها الجهد والعطاء والتضحية والفداء، من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال ينتظر.

مرة أخرى حينما نقرأ التاريخ نجد مواقف حكيمة وانتصارات عظيمة وبطولات نادرة من القلة المؤمنة لم نجدها مطلقاً مع الكثرة الضالة فى المراحل الأخيرة من عصور الخلافة.

منها على سبيل المثال:

أ- صلاح الدين فى مواجهة الصليبيين.
ب- قطز (المملوكى) يعاونه العز بن عبد السلام (شيخ الأزهر) فى مواجهة التتار.

ج- السلطان عبد الحميد (العثمانى) الذى رفض إعطاء أرض لليهود فى فلسطين.

د- الإمام محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا مجددا الفكر الإسلامى.
و- الحركات الإسلامية فى مصر والسودان وليبيا والمغرب والجزائر وفلسطين والمملكة السعودية وبعض دول العالم الإسلامى، التى نالت شرف الجهاد بالقضاء تماماً على الاستعمار القديم.

ثم الجهود التى بذلت بعد ذلك منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى يومنا هذا.
نذكر منها على سبيل الإشارة أو التلميح.

أ- إنشاء الجامعة العربية (حيث نادى الزعيم مصطفى كامل بإنشاء الجامعة الإسلامية وحورها المستعمرون والعلمانيون إلى جامعة عربية).

ب- إنشاء رابطة العالم الإسلامي.

ج- معاهدة الدفاع المشترك (بين الدول العربية).

د- إحياء الاقتصاد الإسلامي ومشروع السوق الإسلامية المشتركة.

هـ- صور وحدوية مثل: وحدة مصر والسودان، ووحدة المغرب العربي ومجلس التعاون الخليجي.

ومع بداية إقامة الأمة الإسلامية الموحدة، فلا بأس من الاستعانة من تجارب الدول غير الإسلامية.

نذكر منها على سبيل المثال:

أ- التجربة الأوروبية: في اجتماعات الدول الثماني الكبار - في حلف الأطلنطي المسمى الآن بحلف الناتو - السوق الأوروبية المشتركة - إصدار العملة الموحدة (اليورو).

ب- التجربة الصينية: في تصدير بضائعها الإنتاجية والاستهلاكية بأسعار عالمية لا تنافس وتشجيع الشباب الصيني على إنشاء وحدات إنتاجية متناهية الصغر.

رابعاً: رؤية شرعية حول وحدة الأمة الإسلامية

علمنا مما سبق أن وحدة الأمة الإسلامية فرض على كل مسلم ومسلمة . . .
عربي أو أعجمي . . . حاكم أو خادم . . . فقير أو غني . . . مقيم داخل الديار الإسلامية أو خارجها (الأقليات من المسلمين).

بل هي الفريضة العظمى التي تتحقق بها سائر الفروض . . . خاصة أنه قد ورد في السنة أنه من لم تحدثه نفسه (تصحيح النية وإخلاصها لله) عن البيعة والشورى والجهاد فقد خرج عن ربة الإسلام.

- فالمسألة ليست أمانى ولا أحلام ولا قول باللسان . . . وإنما هي علم بالحقيقة وجهد ومجاهدة وجهاد في التطبيق بهدف الوصول إلى طريق الرشاد.

وذلك مصداقاً لقوله تعالى في (سورة العنكبوت : ٦٩) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وتذكيراً بالحديث النبوى :

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» .

والتطبيق الإسلامى يقوم على التدرج والمراطة وعلى الصبر والمصابرة وليس على الطفرة أو الدكتاتورية ولذلك يتحتم وضع برنامج زمنى للتنفيذ على مراحل . مع مراعاة بعض المسائل الفقهية المتفق عليها مثل :

أ- درء المفسد مقدم على طلب المصالح .

ب- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ج- لا يكون الخيار إلا فى أحسن الأمرين أو أخف الضررين .

ومن الأحاديث النبوية هناك قواعد هامة مثل :

لا ضرر ولا ضرار - لا تغضب - قل آمنت بالله ثم استقم - لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي - خير الأعمال الصلاة لميقاتها، وإيتاء ذوى القربى، وحج مبرور .

- مسك الختام من الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

هذه الرؤية الشرعية حول وحدة الأمة الإسلامية تتضمن برنامج زمنى للتطبيق العملى .

وهى على محورين :

المحور الأول: من الراعى إلى الرعية .

المحور الثانى: من الرعية إلى الراعى .

وقد تم اختيار ثلاث دول فى كل محور كأمثلة للتطبيق نوضح تفاصيلها فى الصفحة التالية :

محااور البرنامج الزمنى للتطبيق

البرنامج الزمنى للتطبيق يبدأ بمحورين بين الراعى والرعية ولا بأس من أن يسبق أحدهما الآخر .

المحور الأول: من الراعى إلى الرعية:

وهو أن يتوافر فى المسئول: إخلاص النية، والصلاح مع الإصلاح، والكفاءة القيادية مع الحكمة الواعية .

ثم يبدأ بمراجعة القوانين واللوائح والنظم والقرارات والتعليمات [عملياً] وتصويبها وفق الضوابط الشرعية للحكم بها مع المتابعة .

ثم تُشكل لجان متخصصة فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، لإعادة تقييم ودراسة جدوى ما هو قائم فى العلاقات الدولية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتصويبها وفق الضوابط الشرعية المتفق عليها، والالتزام بها مع الواقع .

فى البداية من الممكن أن يقوم بهذا الأمر أى مسئول فى أى دولة إسلامية محايدة، مثل ماليزيا أو الباكستان أو السودان .

مع شروط:

أ- التزام المسئول وبطانته (بطانة الخير) بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

ب- درء المفاصد وجلب المصالح .

ج- أن تكون اللغة العربية هى اللغة الأولى (لغة القرآن) وتصحيح التواريخ بالسنة الهجرية .

المحور الثانى: من الرعية إلى الراعى:

تبدأ هذه الرعية من المؤمنين رواد المسجد . فهم أهل المساجد وعمارها . . هم المؤمنون حقاً وما دونهم غثاء . . لا يرجى من ورائهم خير .

صفات المؤمنين واضحة فى الكثير من السور والآيات القرآنية منها ما جاء فى سورة المؤمنون (الآيات من ١ - ١١).

يقول المولى عز وجل عن فضل المساجد وعمارها (التوبة: ١٨).

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وأيضاً فى الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ من سورة النور.

- فالله نور السموات والأرض .

- هذا النور نجده فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

- من رجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

ويذكر الرسول ﷺ أحد سبعة يظلمهم الله بظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله .

من يا رسول الله؟ ورجل قلبه معلق بالمساجد .

ويقول أيضاً:

من غدى إلى المسجد أو راح ، أعد الله له نزلاً فى الجنة كلما غدى أو راح .

من هذه القلة المؤمنة فى كل مسجد يتم اختيار أهل الحل والعقد، وهم الصفوة المختارة من القلة المؤمنة .

وأهل الحل والعقد فى كل مسجد من الممكن أن يتراوح عددهم بين ثلاثة وخمسة عشر، بحسب صغر المسجد أو كبره .

- قد قسم العلماء المساجد إلى نوعين:

الأول: مساجد تقام فيها الصلوات الخمس .

الثانى: مساجد تقام فيها صلاة الجمعة والعيدىن الفطر والأضحى بجانب الصلوات الخمس، مع اكتمال الوظائف الأخرى للمسجد .

أهل الحل والعقد يمثلون الحكومة المحلية أو المصغرة فى كل قرية وفى كل حى، ومع الصعود حتى عواصم البلاد .

ومنهم تتشكل الوظائف العليا ومجالس الشورى والمجالس المتخصصة ومجالس القضاء وما شابه.

أرى أن تكون البداية.. بداية التطبيق الفورى فى ثلاث دول هى:

أ- العراق: الممزق الآن بين السنة والشيعة والأكراد، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان (الولايات المتحدة وذيولها من دول أوروبا).

ب- أفغانستان: الممزق الآن بين طالبان وبعض الفصائل القبلية، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان (الولايات المتحدة وذيولها من دول أوروبا).

ج- فلسطين: الممزق الآن بين حماس ومنظمة فتح وبعض الفصائل الجهادية الأخرى، والمحتل الآن من صقور اليهود المهاجرين من الخارج دون الحماة، والمدعّمين تدعيمًا شموليًا من قوى البغى والعدوان، الذين لم يراعوا فى المسلمين المتعاملين معهم إلاّ ولا ذمة.

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من التحالف مع اليهود والنصارى فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم.

منها قوله تعالى (سورة المائدة: ٥١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

ومن منطلق: لا حزبية ولا مذهبية ولا طائفية ولا عنصرية فى الإسلام.

أدعو جميع الفرق المتناحرة فى العراق وفى أفغانستان وفى فلسطين إلى كلمة سواء. إلى مؤتمر مصالحة يعقد فى مكة تحت رعاية المخلصين العالمين العاملين من أبناء الإسلام مع شرط التوبة والإنابة إلى الله، حتى يكونوا مؤمنين حقًا ومن رواد المساجد لتشكيل أهل الحل والعقد المشار إليه.

من هؤلاء (أهل الحل والعقد) ترقى البلاد إلى مصاف الدول المتقدمة المتحضرة التى لا ترضى بالظلم ولا تقبل الذل والمهانة.

فالصراع الآن صراع حضارات وقيم وأخلاق وعدالة فى الحقوق والواجبات .
ولا تستطيع أى قوة فى العالم أن تمنع ذلك إلا من خلال الكذب والخديعة
والاستغلال ، وهذا من شيمة شياطين الإنس والجن .
والله يقول : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

هذه مرحلة والمراحل الأخرى تأتى تباعاً بالأعمال الصالحة ، والرسول ﷺ
يذكرنا دائماً بقوله : «إنما الأعمال بالنيات» .
